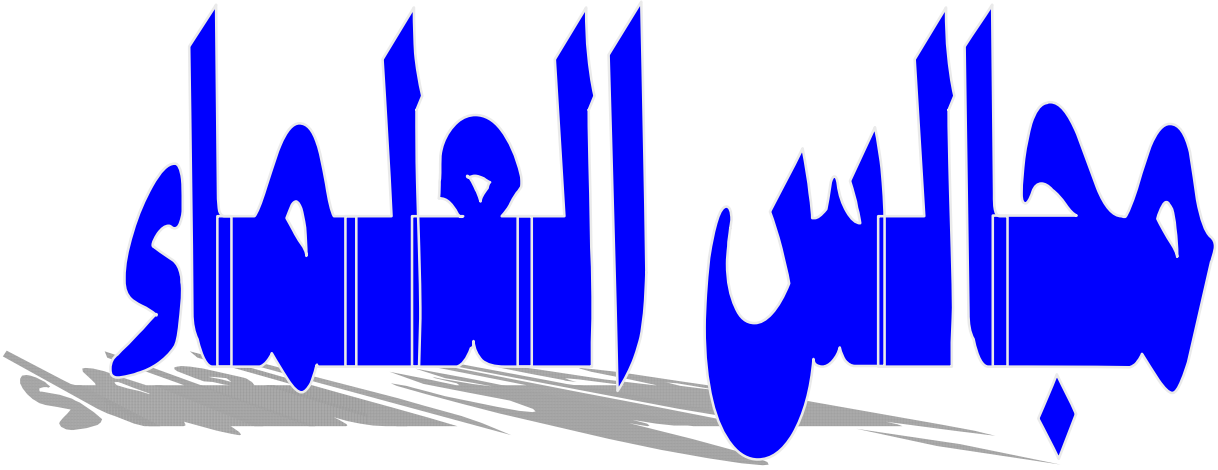

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٢ هـ = ٢٠١١ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، ذي الجلال والإكرام ،سبحانه هو العلي الأكرم ،الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

سبحانك اللهم خيرَ معلم * * * علمت بالقلم القرون الأولى

أرسلتَ بالتوراة موسى مرشداً * * * وابن البتول فعلّم الإنجيلا

وفجَّرت ينبوع البيان مُحمداً * * * فسقى الْحديث وناول التنزيلا

والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير من صلى وصام، وداوم على الخير واستقام،ودعا إلى العلم والتعلم ، والحلم والتحلم ، وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به على الدوام.

وبعد . . ؛

منزلة العلماء بين الناس من أرفع المنازل قدرًا وأشرفها فضلاً وموضعاً ، ومجالس العلم هي مجالس الخير والنور والإخلاص والخشية ، قال تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) **سورة فاطر** ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: إن لله ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، فَحَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا ، أَوْ صَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ ، قَالَ : وَهَل رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لاَ ، أَيْ رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ قَدْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ ، قَالَ : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِم فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ

، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.
أخرجه أحمد ٢/٢٥٢(٧٤٣٠) و"البُخاري" ٦٤٠٨ و"مسلم" ٦٩٣٨.

وإذا كان ذكر الصالحين سبب في نزول الرحمات ،وحلول البركات ، قال أحمد ابن حنبل يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين. ابن المنذر : أحاديث في ذم الكلام وأهله ٥/١٧٤.

فما بال مجالستهم ومؤانستهم ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله لولا أن أضع جبهتي لله أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر أو أن أسير في سبيل الله عز وجل. حلية الأولياء ١/٥١.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا فقالت وما هن فقال لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمه لحياتي وظمأ الهواجر ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة . حلية الأولياء ١/٢١٣.

قال ابنُ الأعرابي:

لنا جُلَساءٌ ما نَمَلُّ حديثَهم * * * أَلِبَّاءُ مأمونون غَيْبًا ومَشْهدا
يُفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى * * * وعقلاً وتأديبًا ورأيًا مُسَدَّدا
بِلا فتنةٍ نُخشى ولا سوء عِشْرةٍ * * * ولا يُتَّقَى منهم لسانًا ولا يدا
فإن قلتَ: أمواتٌ فلا أنتَ كاذِبٌ * * * وإن قلتَ: أحياءٌ فلستَ مُفنَّدا

قال الحسن البصري رحمه الله ورضي عنه: الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.

وقال عبد الرزاق: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة. وقيل لبعض الحكماء الأوائل: أي الأشياء ينبغي للعالم أن يقتبسها؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه ، يعني العلم.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن استغنيتم كان لكم كمالا، وإن افتقرتم كان لكم مالا.

وقال بعض العلماء : من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عز عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلا.

ومجالس العلم والذكر أفضل من نوافل العبادات ، وما ذاك إلا لأن طلب العلم ومجالس العلم فيها يتعلم الإنسان دينه ويتبصر ويتفقه فيما ينفعه ويعود عليه بالخير والصلاح ،فيعلم الحلال والحرام، ويعلم ما يجب لله –تعالى– وما يصف الله به نفسه من الأسماء والصفات، يعلم حق الله –سبحانه وتعالى– فيعبده على نور وبصيرة.

فطريق العلم ومجالسة العلم سبيل إلى الفوز بالجنة ورضوان الله تعالى ، عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ قال : ومَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقاً بِهِ إلى الجَنَّةِ. **رواه مسلم**.

وهذه الصفحات تتحدث عن مجالس العلم وفضلها وقد قسمتها إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول :فضل العلم والعلماء.

الفصل الثاني : آداب المعلمين والمتعلمين.

الفصل الثالث :صفات مجالس العلم .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ ، وَنَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعِ.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

المواسير –إيتاي البارود –البحيرة

في : ١٧من ربيع الأول ١٤٣٢ هـ = ٢٠ من فبراير ٢٠١١ م

الفصل الأول

فضل العلم والعلماء

الفصل الأول : فضل العلم والعلماء

١ـ العلم سبيل إلى توحيد الله وطريق إلى العبادة الصحيحة .

قال الله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) سورة فاطر ، وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " سورة الإسراء: ١٠٧-١٠٩.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

(البخاري ١٧٦/١).

سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله حين بدأ به " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) سورة محمد .

يروى أن الإمام ابن حزم الأندلسي – رحمه الله تعالى– قد طلب العلم و هو في السادسة والعشرين من عمره . وقد قال عن سبب تعلمه الفقه : أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه فدخل المسجد قبل صلاة العصر ، و الخلق فيه فجلس ولم يركع ، فقال له أستاذه بإشارة لطيفه : " أن قم فصل تحية المسجد " فلم يفهم فقال له بعض المجاورين له : أبلغت هذا السن ، ولا تعلم أن تحية المسجد و اجبه ؟ قال : فقمت وركعت و فهمت إشارة أستاذي لي بذلك قال : " فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد ، مشاركة للأحباء من أقرباء الميت ، دخلت المسجد ، فبادرت بالركوع ، فقيل لي : أجلس، أجلس ، ليس ذا وقت صلاة " فانصرفت وقد خزيت ولحقني ما هانت عليّ به نفسي وقلت للأستاذ " : دُلّني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون " فدلني فقصدته من ذلك المشهد ، وأعلمته بما جرى فيه وسألته الابتداء بقراءة العلم وأسترشدته ، فدلني على كتاب" الموطأ" لمالك بن أنس رضي الله عنه فبدأت به عليه

قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة" . معجم الأدباء: ٢٤١/١٢، ترجمة: علي بن أحمد بن حزم الفارسي.

قال أبو الأسود الدؤلي:

العلم نور وتشريف لصاحبه * * * فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

العلم كنز وذخر لا فناء له * * * نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

٢ـ العلم سبيل إلى دخول الجنة .

عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما جئت لحاجة ؟! قال : لا . قال : أما قدمت تجارة ؟! قال : لا . قال : ما جئت إلا في طلب هذا الحديث . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ". أخرجه الترمذي (٢٦٨٢).

قال ابن الوردي:

اطلب العلم ولا تكسل فما * * *أبعد الخيرات عن أهل الكسل

لا تقل قد ذهبت أربابه * * * كل من سار على الدرب وصل

٣ـ العلم ميراث الأنبياء.

العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا من عرض الدنيا متاعا زائلا، ولا مالا فائنا، وإنما ورّثوا دين الله عز وجل القائم على العلم والحكمة، ومعرفة آيات الله في خلقه، وتزكية النفس وصلتها بخالقها،وتحليتها بمكارم الأخلاق.

العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا عن سيدنا نوح صبره على تبليغ رسالة الله، وتحمله إيذاء قومه وإعراضهم عنه في سبيل الله، وهو قائم بالدعوة إلى الله مئات السنين دون كلل

ولا ملل، ولا ضجر ولا قنوط.

وورثوا عن سيدنا إبراهيم شجاعته وصموده أمام أعداء الله، وتضحيته بالحياة واستهانته بالموت فسبيل إعلاء كلمة الله.

وورثوا عن سيدنا موسى قوته وأمانته، وعفته ونزاهته،ودعوته للإنقاذ قومه من الظلم والاستعباد، ورفقه بهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور،ومن عبادة الطواغيت إلى عبادة الله الواحد القهار.

وورثوا عن سيدنا عيسى روحانيته وقربه من الله، وذكره وصلته الدائمة بالله، وصدقه ورحمته، وسمو نفس هو رفعتها ومحبتها لجميع خلق الله.

وورثوا عن خاتم النبيين سيدنا محمد وعليهم أجمعين الخلق العظيم، والرحمة للعالمين، والصفوة من الشرع والدين القويم.

ورثوا عنه صبره وحلمه، وجهاده ونضاله، وعرض نفسه ودعوته على الناس في سبيل نشر دين الله، مقتحما الأخطار، غير مبال بتهديد ولا إيذاء ولا استنكار، غير آبه بإغراء بمنصب أو مال أو جمال، قائلا كلمته المشهورة :والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أرجع عن تبليغ رسالة ربي ما رجعت حتى ينفصل رأسي عن كتفي رواه البيهقي عن ابن إسحاق .

قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما رادته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً ،فقال هشام:فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت له: زد في الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال لي: اذهب وانصرف) **من كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي(١٩٦/١).**

٤ـ العلم سبيل العزة والسعادة في الدنيا والآخرة.

العلماء هم أمناء الله على خلقه ، وهذا شرف للعلماء عظيم ، ومحل لهم في الدين خطير ؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والرجوع والتعويل في أمر الدين عليهم ، فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل ، فقال تعالى : ((فاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)) [النحل:٤٣] ، وهم أطباء الناس على الحقيقة ، إذ مرض القلوب أكثر من الأبدان ، فالجهل داء ، والعلم شفاء هذه الأدواء ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فإنما شفاء العي السؤال) [أخرجه أبو داود (٣٣٦)].

روى الطرطوشي في :(سراج الملوك ٣٦/١) أنه حينما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجاتها وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون، فتقدم غلام هاشمي للكلام، وكان حديث السن، فقال عمر -:لينطلق من هو أسن منك.فقال الغلام-:أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك .فقال عمر -: صدقت، قل ما بدا لك،فقال الغلام - :أصلح الله أمير المؤمنين، نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة، وقد أتيناك لمنَّ الله الذي منَّ علينا بك، ولم يقدمنا إليك رغبة أو رهبة، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا، وأما الرغبة فقد أمنا جورك بعدلك .فقال عمر :عظني يا غلام، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الأقدام فهووا في النار، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك، فتزل قدمك، فتلحق بالقوم، فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة، ثم سكت .فقال عمر :كم عمر الغلام، فقيل له: ابن إحدى عشرة سنة، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأثنى عليه خيراً، ودعا له، وتمثَّل قائلاً :

تعلم فليس المرء يولد عالماً * * * وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

فإن كبير القوم لا علم عنده * * * صغير إذا التفت عليه المحافلُ

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي : كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل

مكة ، وكان أنفه كأنه باقلاء، فجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إلى عطاء في مكة ، وكان مفتيها في زمانه رضي الله عنه وأرضاه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم – أي: لا تقصرا ولا تتعبا في طلب العلم– فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد. انظر : صفة الصفوة ٣٢١/٣ ، مختصر تاريخ دمشق ٢٩٥/٥ ، الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ٤٩ .

ولذلك قال بعضهم:

أشل أعور أفطس *** ومن بحوره العلوم تقتبس

وعن عمر بن المدرك ، قال: حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدثنا أشعث بن شعبة النشيطي ، قال: قدم الرشيد – يعني: هارون الرشيد – الرقة؛ فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، صادف أن عبد الله بن المبارك قدم في نفس الوقت الذي قدم فيه أمير المؤمنين، فعبد الله بن المبارك أمير المؤمنين بالحديث، و هارون الرشيد أمير المؤمنين في زمانه، فقدما الرقة في وقت واحد، قال: فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال من الزحام، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج القصر، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: هذا عالم من أهل خراسان ، يقال له عبد الله بن المبارك قدم، قالت: والله هذا الملك لا ملك هارون الرشيد الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٥ ، وفيات الأعيان ٣٣/٣ ، الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١٥٨/١

كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد،وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة ..ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له :من أعز الناس ؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين قال : بلى ،إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن

يقدم له واحدة فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي ،فقال الرشيد : لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما.**ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥١٠/٣ .**

كان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية و(ربيعة) حمل في بطن أمه وخلف عندها ثلاثين ألف دينار . فقدم المدينة المنورة بلده بعد سبع وعشرين سنة ،فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال يا عدو الله أتهجم على منزلي ، فقال لا ولكن أنت رجل دخلت على حرمتي فتواثبا حتى اجتمع الجيران ، فبلغ الخبر مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة .... فقال مالك أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا . ثم دخل فروخ البيت وقال أخرجي المال الذي عندك وهذه أربعة آلاف دينار معي ، فقالت : المال دفنته وأنا أخرجه بعد أيام . ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته فأتاه مالك والحسن بن زياد وأشراف المدينة وأحدق الناس به ، فقالت أمه لزوجها فروخ اخرج فصل في المسجد ، فخرج فصلى ... فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال من هذا الرجل ؟ فقالوا له : هذا ربيعة بن عبد الرحمن ... فقال لقد رفع الله ابني . فرجع إلى البيت ، وقال لامرأته : لقد رأيت ابنك على حال ما رأيت أحداً من أهل العلم عليها ، فقالت : أيما أحب إليك : ثلاثون ألاف دينار ، أو هذا الذي هو فيه من الجاه ؟ فقال بل هذا . فقالت : إني أنفقت المال كله عليه . فقال والله ما ضيعته . (وقد روى هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وسكت عنها وكذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان) .

يقول الإمام علي رضي الله عنه :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم * * * على الهدى لمن استهدى أدلاّء

وقد كلّ امرئ ما كان يحسنه * * * والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حياً به أبداً * * * الناس موتى وأهل العلم أحياء

٥ـ خير ميراث يتركه المرء .

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ قالَ قالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسلَّمَ: إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ

انقطَعَ عملُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ صدَقَةٍ جارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أووَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رواه مسلم.

يقول الشاعر:

إني لتطربني الخلال كريمة * * * طرب الغريم بأوبة وتلاقي

ويهزني ذكر المروءة والندى * * * بين الشمائل هزة المشتاق

فإذا رزقت خليفة محمودة * * * فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حظه مال وذا * * * علم وذاك مكارم الأخلاق

والمال إن لم تدخره محصنا * * * بالعلم كان نهاية الإملاق

والعلم إن لم تكتنفه شمائل * * * تعليه كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده * * * ما لم يتوج ربه بخلاق

٦ـ العلم نور البصيرة .

العلم هو النور الذي يبصر به المرء حقائق الأمور ، وليس البصر بصر العين ، ولكن بصر القلوب ، قال تعالى : "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) سورة الحج ؛ ولذلك جعل الله الناس على قسمين : إمَّا عالم أو أعمى فقال الله تعالى :"أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) سورة الرعد.

٧ـ العلم يورث الخشية من الله تعالى .

قال الله تعالى : " إنَّما يخشى الله من عباده العلماء " [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

قال الشاعر :

ركبوا الرحل وساروا * * * ولم تتعبهم الأسفارُ

تركوا الأهل والخلان * * * قومٌ هم الأخيارُ

شدوا للعلم زمامهم* * * شهدت لهم الأمصارُ
قُرِّبت لنا العلوم* * * كما قُرِّبت لهم الأخطارُ
فأفلحوا إذ اجتهدوا * * * وخبنا وقربَنا الأنوارُ
ذلك أن زادهم إخلاصهم * * * وزادنا التفرج والانتظارُ
شبابَنا تسلّحوا بوركتمُ * * * بالعلم إنه نعمَ الجارُ
واتركوا اللهو قليلا * * * ليس باللهو الانتصارُ
صوموا ألسنتكم عن الخنا * * * الجهل ظُلَمٌ والعلم أنوارُ
إني بذلت لكم مهجتي* * * وقلمي، ومنكمُ الأفكارُ

٨ـ العلم أفضل الجهاد .

إذ من الجهاد ، الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء ، وهو أعظم منفعة من الجهاد باليد واللسان ، لشدة مؤنته ، وكثرة العدو فيه .

قال تعالى : " ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا " [الفرقان : ٥١-٥٢] .

يقول ابن القيم : " فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين ، وهو جهاد المنافقين أيضًا ، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ، ومع هذا فقد قال تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " ومعلوم أنَّ جهاد المنافقين بالحجة والقرآن . والمقصود أنَّ سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ، ودعوة الخلق به إلى الله "[انظر كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم : ج ١ ص ٧٠] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)) [أخرجه ابن ماجه (٢٢٧) بسند صحيح] .

اطلب العلم ولا تكسل فما * * * أبعد الخير على أهل الكسل

٩ـ العلم مقدم على العبادة .

والعلم مقدم على العبادة ، فإنَّ فضلا في علم خير من فضل في عبادة ، ومن سار في درب العلم سهل عليه طريق الجنة .

أخرج البيهقي في سننه عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنَّ الله أوحى إليَّ : أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع)) **[أخرجه البيهقي ، بسند صحيح].**

وأما الجهل فإنه آفة يجب على المرء أن يتخلص منها ، لأن الجهل مضيعة وذلة ، فانظر ما يفعل الجهل بصاحبه .

كان أبو جعفر النحاس ، النحوي المصري ، من أهل العلم بالفقه والقرآن ، رحل إلى العراق وسمع من الزجاج، وأخذ عنه النحو وأكثر ،وله مصنفات في القرآن ، منها كتاب الإعراب، وكتاب المعاني وهما كتابان جليلان أ غنيا عما صنف قبلهما في معناهما ، وكتاب تفسير أبيات كتاب سيبويه ولم يسبق إلى مثله ، وكل من جاء بعده استمد منه.جلس يوما على درج القياس بمصر على شاطئ النيل وهو في مده وزيادته ومعه كتاب العروض وهو يقطع منه بحرا فسمعه بعض العوام فقال :هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ، فتغلو الأسعار !!!ثم دفع النحاس برجله فذهب في المد فلم يعثر له على خبر **من كتاب ، إنباة الرواة على أنباه النحاة .. للقفطي .**

وعن محمد بن المثنى السمسار ، قال : « كنا عند بشر بن الحارث ، وعنده العباس بن عبد العظيم العنبري ، وكان من سادات لمسلمين ، فقال له : يا أبا نصر أنت رجل قد قرأت القرآن وكتبت الحديث ، فلم لا تتعلم من العربية ما تعرف به اللحن حتى لا تلحن ، قال : ومن يعلمني يا أبا الفضل ؟ قال : أنا يا أبا نصر ، قال : فافعل قال : قل : (ضرب زيد عمرا) ، قال : فقال له بشر : يا أخي ولم ضربه ؟ قال : يا أبا نصر ما ضربه ، وإنما هذا أصل وضع ، فقال بشر : هذا أوله كذب لا حاجة لي فيه « **رواه البغدادي في "اقتضاء العلم العمل"** .

وذات يوم دخل على أبي حنيفة رجل تبدو عليه سمات الوقار والهيبة (لدرجة) ضم أبو

حنيفة قدميه احتراما له.. وبعد طول صمت تحدث الرجل وقال: يا أبا حنيفة متى يفطر الصائم!؟ قال: عند غروب الشمس. فقال الرجل: وان لم تغرب إلى منتصف الليل؟ فابتسم أبو حنيفة وقال: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه! .

قال الشاعر :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ * * * فَاطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا

لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَهُ أَصْلٌ بِلَا أَدَبٍ * * *حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا زَانَهُ حَدَبَا

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ أَخِي عَيٍّ وَطَمْطَمَةٍ * * *فَدْمٌ لَدَى الْقَوْمِ مَعْرُوفٌ إِذَا انْتَسَبَا

فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ * * *كَانُوا الرُّءُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا

وَخَامِلٍ مُقْرِفِ الْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ * * *نَالَ الْمَعَالِيَ بِالْآدَابِ وَالرُّتَبَا

أَمْسَى عَزِيزًا عَظِيمَ الشَّأْنِ مُشْتَهِرًا * * *فِي خَدِّهِ صَعَرٌ قَدْ ظَلَّ مُحْتَجِبَا

الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ * * *نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا

قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالًا ثُمَّ يُحْرَمُهُ * * *عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرْبَا

وذكر السمعاني في : (**أدب الإملاء والاستملاء ص٣٠**) : قال : قال يحيى بن أكثم ، قال لي هارون الرشيد : ما أنبل المراتب ؟ قلت : ما أنت فيه يا أمير المؤمنين ، قال : فتعرف أجل منى ؟ قلت : لا ، قال : لكنى أعرفه : رجل يقول في حلقة : يقول : حدثنا فلان عن فلان قال : قال رسول الله ﷺ قال : قلت : يا أمير المؤمنين : هذا خير منك ، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولى عهد المسلمين ؟ ! قال : نعم ويلك هذا خير منى ؟ أبدا ، ونحن نموت مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبد ، ونحن نموت ، ونفنى العلماء باقون ما بقى الدهر" .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ منه من هو فيه ، العلم أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجدَّ فيه الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب .

وقال لكميل : " احفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة ، فعالم رباني ، وعالم متعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ،

العلم يزكو على العمل ، والمال ينقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها باكتساب الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته وصنيعه ، وصنيعة المال تزول بزوال صاحبه ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة " .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، وقال ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم . **تهذيب الأسماء واللغات للنووي رحمه الله تعالى (٧٤/١)** .

١٠ـ العلم يحي القلوب الميتة :

عن مالك ، أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء" . **الموطأ رقم (١٨٣١)** .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة ، ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر علي ، وقال : لا يطلب أحدا هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح ، وقال : تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه ، وقال : من طلب علما فليدقق لئلا يضيع دقيق العلم ، وقال : من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينك وبينه صداقة ولا معرفة . اهـ . **تهذيب الأسماء واللغات (٧٥/١)** .

وعن أنس بن مالك ﷺ : "سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم : مرحبا بوصية رسول الله و أفتوهم" . **صحيح الجامع حديث رقم (٣٦٥١)** .

قال المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير :"سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً" ، أي رحبت بلادكم واتسعت وأتيتم أهلاً لا غرباً فاستأنسوا ولا تستوحشوا وهو مصدر استغنى به عن الفعل وألزم النصب "بوصية رسول اللّه" ، وقد درج السلف على قبول وصيته فكان أبو حنيفة يكثر مجالس طلبته ويخصهم بمزيد

الإكرام وصرف العناية في التعظيم وكان البويطي يدنيهم ويقربهم ويعرفهم فضل الشافعي وفضل كتبه ويحضهم على الاشتغال ويعاملهم بأشرف الأحوال وأفتوهم بالفاء أي علموهم وفي رواية الديلمي وغيره بالقاف والنون يعني أرضوهم من أقنى أي أرضى وقيل : لقنوهم وقيل : أعينوهم .

إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعا ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم و يبقى جهال فيسألون فيفتون فيضلون و يضلون . اهـ .

وعن عائشة ، عن رسول الله ﷺ قال : "إن الله أوحى إلي : أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة و من سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة وملاك الدين الورع" . **صحيح الجامع حديث رقم (١٧٣٧)** .

قال الذهبي : "ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة ، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ". اهـ . **سير أعلام النبلاء (٣٠/١٧)** .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : طلب العلم أفضل من النافلة .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : رأى رجل مع أبي محبرةً ، فقال له : يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ ، وأنت إمام المسلمين ؟ فقال : مع المحبرة إلى المقبرة .

وقال رحمه الله: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر . **مناقب الإمام أحمد (ص٣١)** .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة". **أخرجه البخاري (٦٦٠/٦ فتح) ، ومسلم برقم (٢٦٢٨)** .

قال الشاعر :

العلم أشرف مطلوب وطالبه * لله أكرم من يمشي على قدم**

فقدِّس العلم واعرف قدر حرمته * في القول والفعل والآدابَ فالتزم**

يا طالب العلم لا تبغِ به بدلاً * فقد ظفرت وربِ اللَّوح والقلم**

الفصل الثاني

آداب المعلمين والمتعلمين

الفصل الثاني : آداب المعلمين والمتعلمين

من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلمين والمتعلمين :

١ـ إخلاص النية .

طلب العلم من أجَّل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا ، لأنه سبب في حفظ الشريعة .

ولذلك قال الله تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

سورة المجادلة .

أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة، ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات. **فتح القدير (٥/٢٦٦).**

لذا فإنه يتعين على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله تعالي بهذه العبادة التى هي أجل العبادات وأكملها وأنفعها وأعمها نفعاً ويتفقدوا هذا الأصل النافع في كل دقيق من أمورهم وجليل ، فإن درسوا ، أو بحثوا أو ناظروا أو سمعوا أو استمعوا ، أو كتبوا أو حفظوا ، أو كرروا دروسهم الخاصة ، أو راجعوا عليها أو على غيرها الكتب الأخرى ، أو جلسوا مجلس علم ، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم ، أو اشتروا كتاباً ، أو ما يعين على العلم ، كان الإخلاص لله ، واحتساب أجره وثوابه ملازماً لهم ، ليصير اشتغالهم كله قوة وطاعة ، وسيراً إلى الله وإلى كرامته ، قال الحسن البصري رحمه الله : كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وصلاته وزهده ،وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به ، فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها .

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ

ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". **أخرجه البخاري في الإيمان (٥٤)، ومسلم في الإمارة برقم (١٩٠٧).**

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ ،عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: "نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقهٍ ليس بفقيه، ثلاث لا يُغَل عليهن قلبُ امرئ مؤمنٍ: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم". **رواه البزار وصححه الألباني في الترغيب برقم (٣).**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ . قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِى النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ . فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ . فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. **أخرجه أحمد ٣٢١/٢(٨٢٦٠) و"مسلم" ٤٧/٦ و"النسائي" ٢٣/٦ ، وفي "الكبرى" ٤٣٣٠ و١١٤٩٥ .**

روى ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال قال رجل: "يا رسول الله، إني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني"، فلم يرد عليه شيئًا حتى نزلت هذه الآية: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف، من الآية: ١١٠] **مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك موصولًا، انظر: السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول ١٤٦.**

قال عمر بن الخطاب ﷺ: إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره، رغبوا فرغبوا ورهبوا فرهبوا خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا فخلطوه بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزوجوا الحور العين وأخدموا الولدان المخلدين. حلية الأولياء(٥١/١).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن الصدق والإخلاص؟ فقال: بهذا ارتفع القوم.

وقال عون بن عمارة : سمعتُ هشاماً الدَّستوائي يقول : والله ما أستطيع أن أقول : إني ذهبتُ يوماً قطُّ أطلب الحديث أُريد به وجه الله عز وجل .

وقال الشافعي رحمه الله : وددتُ أن الناس تعلَّموا هذا العلم –يعني كتبه– على أن لا يُنسب إلي منه شيءٌ.

وقال : ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئا أشد عليَّ من نيتي.

وعن سفيان قال: أخبرتني مرّيّة الربيع بن خُثيم قالت: كان عمل الربيع كلُّه سراً، إن كان ليجئُ الرجل وقد نشَر المصحف فيغطيه بثوبه.

وقال ابن الجوزي: كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه.

وعن عبد الله بن مبارك قال: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلَّموا لعزّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخَلْق. صفة الصفوة: ١٢٣/٤.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك ولا أحسن قراءة، ولا أكثر صلاة منه، كان يصلي الليل كله في السفر وغيره، وإنما ترك النوم في المحمل، لأنه كان يصلي، وكان الناس لا يدرون.

قال عمر بن الخطاب ﷺ : إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره ، رغبوا فرعبوا ورهبوا فرهبوا خافوا فلا يأمنون ، أبصروا من اليقين مالم يعاينوا

فخلطوه بما لم يزايلوه ، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم الحياة عليهم نعمة والموت لهم كرامة فزوجوا الحور العين وأخدموا الولدان المخلدين. حلية الأولياء(٥١/١) .

٢ـ الأدب والتواضع.

قال الله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ . الأعراف (١٩٩).

وقال تعالى : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت(٣٤).

وقال الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ . سورة آل عمران (١٣٤) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال : "تقوى الله وحُسن الخُلق" وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : " الفم والفرج" أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) برقم (٣٨٩) والترمذي (٢٠٠٤) .

فعلى طالب العلم أن يتحلى بالأخلاق الحسنة ، وعليه أن يتأسى بأخلاق المصطفى ﷺ الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . القلم (٤) .

وثبت عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان خلقه القرآن.

وعن أنس قال : "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته لم فعلته وكان ﷺ أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ ". اهـ . تفسير ابن كثير (٤٠٤٤٠٣/٤) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : "بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج

البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرني عن الإيمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال فأخبرني عن الساعة ، قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرني عن إمارتها ، قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ، قلت الله ورسوله أعلم ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .رواه البخاري برقم (٤٤٩٩) ، ومسلم برقم (٨) .

قال القاضي عياض رحمه الله : وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه ، قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان إذ لا يشذ شئ من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة . والله أعلم .

قوله فيه جمل من فوائده ومما لم نذكره من فوائد ، أن فيه :

أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع .

وفيه أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض.

وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله . والله أعلم . اهـ . شرح النووي (١/١٥٨) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول : "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" . رواه البخاري في كتاب المناقب برقم (٣٥٥٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٢١).

وعن أبي ذر جندب بن جنادة ، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق

حسن" . أخرجه الترمذي في البر والصلة برقم (١٩٨٧) .

وعن سهل بن سعد ، أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها" . صحيح الجامع (١٨٥٨).

٣ـ الرفق واللين.

قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ . سورة الفرقان الآية (٦٧) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" . رواه البخاري في كتاب الأدب برقم (٦٠٢٤) ، ومسلم في كتاب السلام برقم (٢١٦٥).

وفي رواية لمسلم : " إن الله رفيق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه" .

وعنها رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه" . رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣١٢) .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : "باب الرفق في الأمر كله" الرفق بكسر الراء وسكون الفاء بعدها قاف ، هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف ، وذكر فيه حديثين أحدهما حديث عائشة في قصة اليهود لما قالوا السام عليكم وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الاستئذان ، وقوله : "إن الله يحب الرفق في الأمر كله" في حديث عمرة عن عائشة ثم مسلم "أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" والمعنى : أنه يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده وقيل المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره والأول أوجه. فتح الباري (٤٤٩/١٠) .

وعن أبي الدرداء ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : "من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير" .رواه الترمذي وقال : "حديث

حسن صحيح"، "السلسلة الصحيحة" (٥١، ٥٦٣) ، و"المشكاة" (٥٠٧٦) .

وعن أنس ﷺ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٍ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبةً شديدة فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء" . رواه البخاري في كتاب الأدب برقم (٦٠٨٨) ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٥٧) .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :زينة العلماء التوفيق ، وحليتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس، وقال زينة العلم الورع والحلم ، وقال لا عيب بالعلماء أقبح من رغبهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبتم فيه ، وقال ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع ، وقال فقر العلماء فقر اختيار وفقر الجهال فقر اضطرار . اهـ . تهذيب الأسماء واللغات (٧٤/١) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أصل العلم خشية الله .بيان فضل علم السلف عن علم الخلف لابن رجب (ص٥١) .

قال ابن جماعة :وكذلك ينبغي أن يرحب بالطلبة إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويُكرمهم إذا جلسوا إليه، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلَّق بهم بعد ردِّ سلامهم، وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحُسن المودة وإعلام المحبة وإضمار الشفقة؛ لأنَّ ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط لسؤاله، ويزيد في ذلك لمن يُرجى فلاحه، ويظهر صلاحه.تذكرة السامع والمتكلم، ٦٤.

٤ـ البعد عن الغرور.

تزكية النفس أمر خطير ، وهو من مداخل الشيطان ، فعلى المرء أن لا يزكي نفسه ولا يحب من الآخرين أن يمدحوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بنفوسنا ، فقد قال تعالى :﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ . النجم (٣٢) .

قال القرطبي : فلا تزكوا أنفسكم أي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها ، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع ، هو أعلم بمن اتقى أي أخلص العمل واتقى عقوبة الله .

عن الحسن وغيره قال الحسن : قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة . اهـ . **تفسير القرطبي (١١٠/١٧)**.

وسأل فرقد السنجي الحسن البصري عن شيء فأجابه ، فقال إن الفقهاء يخالفونك ، فقال الحسن ثكلتك أمك فُرَيْقِدُ وهل رأيت بعينيك فقيها ، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه ، الذي لا يهمز من فوقه ولا يسخر بمن دونه ولا يبتغى على علم علَّمه لله تعالى أجراً ، وقال بعض السلف إن الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يُؤْمِنْهم مكرَ الله ، ولم يدعِ القرآنَ رغبةً عنه إلى ما سواه ، وقال ابن مسعود ﷺ بخشية الله علما ، وبالاغترار بالله جهلا ، قالوا فهذا القرآن والسنة ، وإطلاق السلف من الصحابة والتابعين يدل على إن العلم والمعرفة مستلزم للهداية ، وإن عدم الهداية دليل على الجهل وعدم العلم ، قالوا ويدل عليه إن الإنسان ما دام عقله معه لا يؤثر هلاك . **مفتاح دار السعادة (٨٩/١)**.

٥ـ العمل بالعلم.

تُعتبر القدوة الصالحة في التربية والتعليم من أنجح الوسائل المؤثِّرة في إعداد المتعلِّم خُلقيًا وتكوينه نفسيًا واجتماعيًا، ذلك لأنَّ الْمُعلِّم هو المثل الأعلى في نظر المتعلِّم، والأسوة الصالحة في عينه، يُقلِّده سلوكيًا ويُحاكيه خُلقيًا من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث لا يدري أو يدري.

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾. **البقرة (١٥٩)**.

وقال تعالى : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾. **البقرة (١٧٤)**.

وعن جابر مرفوعاً قال : "لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء ولتجترئوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار". **أخرجه ابن ماجة في برقم (٢٥٤)**

صحيح الجامع حديث رقم (٧٣٧٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم". **رواه ابن ماجة ، وقال الألباني : "صحيح لغيره" الترغيب (١١٠).**

وعن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : "من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" . **أخرجه ابن حبان (١/١٥٤) رقم (٩٦) وقال الألباني : "حسن صحيح" الترغيب (١٣١).**

قال المناوي رحمه الله تعالى : مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه في كون كل منهما يكون وبالا على صاحبه يعذب عليه يوم القيامة ، فعلى العالم أن يفيض العلم على مستحقه لوجه الله تعالى ولا يرى لنفسه عليهم منة وإن لزمتهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله بزراعة العلوم فيها كمن يعير أرضا ليزرع فيها لنفسه ما ينفعه ولولا المتعلم ما نال ذلك المعلم . اهـ . **فيض القدير (٥/٥٠٩).**

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة : رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ ، قال : قاتلت فيك حتى استشهد ، قال : كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها ، فقال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال : ما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ".**رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم (٦٤٩٩) ، ومسلم في كتاب الزهد برقم (٣٩٨٦).**

قال الفضيل : "إنما يُرادُ من العلم العمل والعلم دليل العملِ " .

وقال عبد الله بن المعتز : "علمٌ بلا عملٍ كشجرةٍ بـــلا ثمـــرةٍ " . **اقتضاء العلم العمل (ص٣٧).**

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تزول قدما عبد يوم القيامـــة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتـــسبه؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه". **رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في الترغيب برقم (١٢٦) .**

٦ـ ترك الجدال والمراء.

قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فـــي قلبه ، وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ **البقرة (٢٠٤-٢٠٥).**

وقال تعالى : ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صـــدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ . **غافر (٥٦).**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : "إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخصم" .**رواه البخاري في كتاب (الأحكام) رقم (٧١٨٨)، ومسلم في كتاب (العلم) برقم (٢٦٦٨).**

"الألد" : هو الشديد في الخصومة ، وقيل هو : الدائم الخصومة .

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال : "ما ضل قوم بعد هدي كـــانوا عليـــه إلا أوتـــوا الجدل ثم تلا : ﴿وما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ **الزخرف (٥٨) . أخرجه الترمذي (٣٢٥٣) صحيح الجامع (٥٦٣٣)، وصحيح الترغيب برقم (١٤١).**

٧ـ التحذير من القول على الله بغير علم.

قال الله تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينـــزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمـــون﴾ . **الأعراف (٣٣).**

وقال تعالى : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ . الإسراء (٣٦) .

وقال تعالى : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاعٌ قليل ولهم عذاب أليم ﴾. النحل (١١٦ و ١١٧).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حلل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه ، وما في قوله لما تصف مصدرية أي ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم توعد على ذلك فقال إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي في الدنيا ولا في الآخرة أما في الدنيا فمتاع قليل وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقال إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون الآيات . اهـ . تفسير ابن كثير (٥٩١/٢) .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ . المائدة (٨٧).

قال رسول الله ﷺ : "من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه". أخرجه أبو داود ، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٧٥) .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : ومعناه : أي لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قولٍ تنطق به ألسنتكم من غير حجة . أهـ . فتح القدير (٢٢٧/٣) .

وقال ﷺ : "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب الرجال، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا". رواه البخاري عن ابن عمر ﷺ.

عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، "أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي البلاد شر ، فقال لا أدري فلما أتاه جبرائيل ، قال يا جبرائيل أي البلدان شر ، قال لا أدري حتى أسأل ربي ، فانطلق جبرائيل فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاء فقال يا

محمد إنك سألتني أي البلاد شر وإني قلت لا أدري وإني سألت ربي فقلت أي البلاد شر ، فقال أسواقها" .

قال الحاكم رحمه الله تعالى : قد احتجا جميعا برواة هذا الحديث إلا عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد تفرد البخاري بالاحتجاج بأبي حذيفة ، وهذا الحديث أصل في قول العالم لا أدري . اهـ . المستدرك برقم (٣٠٣) .

وروي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى : أنه سئل عن مائة مسألة فأجاب عن أربع منها، وقال في الباقيات: الله أعلم، فعوتب في ذلك، فقال: من قال الله أعلم فقد أفتى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله .

وقال الإمام ابن مفلح رحمه الله تعالى :فصل في قول العالم : لا أدري ، واتقاء التهجم على الفتوى . ثم قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله . وكذا قال علي بن الحسين .

وقال الشعبي : "لا أدري" نصف العلم ،وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري .

حكى الزركشي أن القاضي المالكي إسماعيل بن إسحاق الأزدي رحمه الله ، قال : دخلت على المعتضد ، فَدَفَع إليَّ كتاباً نظرت فيه ، و قد جمع فيه الرخص من زلل العلماء ، وما احتج به كل منهم ، فقلت : إن مصنف هذا زنديق . فقال : ألم تصح هذه الأحاديث ؟ قلت : الأحاديث على ما رُوِيَت ، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة ، ومن أباح المتعة لم يبح المسكر ، وما من عالم إلا و له زلّة ، ومن جمع زلل العلماء ، ثم أخذ بها ذهب دينه ، فأمَر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب) [البحر المحيط: ٦ / ٣٢٦] .

قال أبو منصور الدِّمْياطِيّ، في قصيدةٍ له:

أيها العالمُ إيَّاك الزَّلَلْ * * * وأحذَرِ الهَفْوةَ فالخَطْبُ جَلَلْ

هَفْوةُ العالِم مُستَعظَمةٌ * * * إن هَفَا أصبح في الخَلْقِ مَثَلْ

وعلى هَفْوتِه عُمدَتُهمْ * * * وبه يَحْتَجُّ من أخْطَا وزَلْ

فهو مِلْحُ الأرضِ ما يُصْلِحُه * * * إن بدَا فيه فَسادٌ أو خَلَلْ

٨ـ عدم إهانة العلماء أو هضم حقهم.

إن إهانة العلماء، أو ازدرائهم، أو تنقصهم، أو الاستخفاف بهم أعظم جرمًا، وأشد إثمًا من إهانة وازدراء غيرهم، وذلك لأن إهانة العلماء ليست إهانة لذواتهم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى إهانة ما يحملونه من العلم، وما يتمثلون به من الدين والخلق.

ولهذا يخشى على من أهان أهل العلم من حلول العقوبة المعجلة به، لشناعة جرمه، وعظيم جنايته.

قال الشافعي :

العلم مغرس كل فخر فافتخر * * * واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس

واعلم بأن العلم ليس يناله * * * من همه في مطعم أو ملبس

إلا أخو العلم الذي يُعنى به * * * في حالتيه عاريا أو مكتسي

فاجعل لنفسك منه حظا وافرا * * * واهجر له طيب الرقاد وعبّسِ

فلعل يوما إن حضرت بمجلس * * * كنت أنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

فمن عادى العلماء فهو معادٍ لله وقد آذنه الله بالحرب. قال ﷺ: «إن الله قال: من عادي لي وليًّا فقد آذنته بالحرب». **رواه البخاري (١١/٣٤٠-٣٤١)**، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته». **فتح الباري ١١/٣٤٣.**

ومن أهان العلماء فقد عرّض نفسه لوعيد النبي ﷺ، المتمثل في قوله: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». **رواه أحمد والحاكم.**

وذكر الثعلبي في كتاب آداب الملوك عن علي ﷺ أنه قال: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته».

قال الشاعر :

ذو العلم حي ولو ذابت حشاشته * * * له الجلالة عن حاف ومنتعل

حتى الملائكة الأبرار تذكره * * * والنمل يدعوا له في السهل والجبل

أقلامه تعمر الدنيا إذا نطقت * * * ألواحه صحف الرضوان والأمل

كلامه درر أحكامه عبر * * * أفعاله اثر لله من حلل

مات الملوك وأهل العلم ذكرهم * * * كالمسك في الناس ند عشرق جزل

الفصل الثالث

صفات مجالس العلم

الفصل الثالث : صفات مجالس العلم

١ـ مجالس الإخلاص والتقوى.

فقد الإخلاص فسلخ منه العلم :

قال تعالى :" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سورة الأعراف .

قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رحمهم الله : نزلت هذه الآية في بلعم بن باعوراء ، وذلك لأن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه ، وغزا أهله وكانوا كفاراً ، فطلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام وقومه ، وكان مجاب الدعوة ، وعنده اسم الله الأعظم فامتنع منه ، فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه ، فقال موسى : يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه . فقال : بدعاء بلعم . فقال : كما سمعت دعاءه علي ، فاسمع دعائي عليه ، ثم دعا موسى عليه أن ينزع منه اسم الله الأعظم والإيمان ، فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفة . فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته . تفسير الرازي ٢٩٧/٧.

هشام بن عمار وإخلاصه في طلب العلم :

قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما رادته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً ،فقال هشام:فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت

له: زد في الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال لي: اذهب وانصرف) .من كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي(١٩٦/١).

يفتي وهو على فراش الموت العلم :

ومما يروى في ذلك ما قاله القاضى إبراهيم بن الجراح الكوفي تلميذ أبى يوسف : قال : لقد أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه . فلما أفاق قال لي : يا إبراهيم ما تقول في مسألة ! قلت : في مثل هذه الحالة ؟ ! قال : لا باس بذلك ندرس لعلة ينحو به ناج ! ثم قال : يا إبراهيم : أيهما أفضل في رمى الجمال – أي في مناسك الحج – أن يرميها ماشياً أو راكباً ؟ قلت : راكباً ، قال : أخطأت ، قلت ماشياً قال : أخطأت ، قلت : قل فيها يرضى الله عنك . قال : أما ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكباً ، ثم قمت من عنده فما بلغنا باب داره حتى سمعت الصراخ عليه ، وإذ هو قد مات رحمة الله عليه. عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٣٩ .

الفتح بن خاقان وحب القراءة :

وكان الفتح بن خاقان يحمل الكتاب في كمه أو في خفه فإذا قام من بين يدي المتوكل للبول أو الصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة أخرج الكتاب من كمه أو خفة فقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده. عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٣٩ .

ابن جرير لا يضيع الوقت :

ومكث ابن جرير الطبري أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة وقد صار مجموع ما صنفه نحو ٣٥٨ ألف ورقة ، وقد ولد بن جرير سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ فعاش ٨١ سنة فإذا طرحنا منها سنة قبل البلوغ وقدرناها بأربع عشرة سنة يكون قد بقى ابن جرير سنتين وسبعين سنة يكتب كل يوم ١٤ ورقة فإذا حسبنا الاثنين والسبعين سنة وجعلت كل يوم منها ١٤ ورقة تضيفا كان مجموع ما صنعه نحو ٣٥٨ ألف ورقة .عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٤٣.

٢ـ مجالس الذكر و الخشية.

ابن حجر الهيتمي وتقسيماته الرباعية:

ساق ابن حجر الهيتمي في :[الفتاوى الحديثة ص ٣٨٤ن٣٨٥]:هذه الحكاية تحت عنوان " مطلب في قول الإنصات لا يصير الرجل محدثا كاملا في الحديث ،إلا أن يكتب أربعاً مع أربع في أربع ....إلخ" قال الهيتمي : "وفى أشياخ القاضي عياض لما ذكر محمد بن العربي المشهور ، حكى من حديثه ، عن عماد بن محمد مخلد التميمة ، قال لما عزل أبو العباسي همداني عن فضاء الري، ورد بخارى لتجديد مودة كانت بينه وبين أبى الفضل القلعى ، فنزل في جوارنا فحملني إليه معلمي ، وقال : أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعته من مشايخك ، قال : ما لي سماع ، قال : كيف وأنت فقيه ؟ قال لأني لما بلغت مبلغ الرجال اشتاقت نفسي إلى معرفة الحديث ، ورواية الأخبار وسماعها ، فقصدت محمد بن إسماعيل (الإنصات) وسألته الإقبال على ذلك ، فقال : يا بني لا تدخل على أمر حتى تعرف حدوده ،والوقوف على مقداره ، فقلت له : عرفني يرحمك الله حدود ما تصديت له ، ومقدار ما سلكت إليه وسألتك عنه ، فقال لي أعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملا في الحديث إلا أن يكتب أربعاً مع أربعٍ كأربعٍ مثل أربعٍ في أربعٍ عند أربعٍ بأربعٍ على أربعٍ عن أربعٍ لأربعٍ وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربعٍ مع أربع ، فإذا تمت هان عليه أربع ، وابتلى بأربع فإذا صبر على ذلك أكرمه الله بأربعٍ وأثابه في الأخر بأربع .فقلت له فسر لي ما ذكر لي من أحوال هذه الرباعيات من قلب صافٍ منشرحٍ وكافٍ ، وبيان شافٍ طالب لأجر وافٍ ، قال نعم : أما الأربع التي يحتاج إلى كتبها : فأخبار النبي ﷺ وشرائعه والصحابة ومقاديرهم ، والتابعين وأحوالهم ، وسائر العلماء وتواريخهم مع أسماء رجالهم وكناهم وأمكنتهم وأزمانهم كالتحمد ، ومع الخطب والدعاء مع الرسل والبسملة مع السور ، والتكبيرات مع الصلاة ، ومثل المسندات والمرسلات والموضوعات والمقطوعات في صغره ، وإدراكه ، وكهولته وشبابه عند فراغه وشغله ، وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الأحجار والأصداف والجلود والأكتاف ، إلى الوقت الذي يمكنه نقله إلى الأوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وحتى كتاب وعمن هو مثله وعمن هو دونه وحتى كتاب

إليه تيقن أنه خطه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته ، والعمل بموافق كتاب الله ونشرها بين طالبها ، والتأليف في إحياء ذكره ثم لا تتم هذه الأشياء إلا بأربع : معرفة الكتابة، والثقة ،والضبط ، والنحو .مع أربع معاني :محض عطاء الله تعالى القدرة ،والصحة ، والحرص ، والحفظ ، فإذا تمت هذه الأشياء هان عليه أربع : الأهل والمال والوطن والولد ،وابتلى بأربع :شماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهلاء ، وحسد العلماء ، فإذا صبر عل هذه المحن الأربع أكرمه الله تعالى بأربع : بعز القناعة ، وتهيئة النفس ، ولذة العلم ، وحسن الذكر ، وأثابه الله في الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن أراد من أحبابه ، وبظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، ويسقى من أراد من حوض نبيه ، وبجوار الرحمن في أعلى عليين في الجنة .فقد أخذتك يا بني بجملة ما كنت سمعته من مشايخي متفرقا في هذا الباب فأقبل الآن على ما قصدتني له : فهالني قوله فسكت و أطرقت نادماً ! فلما رأى ذلك منى قال : فإذا لم تطق هذه المشاق كلها فعليك بالفقه الذي يمكنك فعله وأنت ببيتك لا تحتاج لبعد الأسفار ، ووطء الديار ، وركوب البحار ، وهو في الآخرة ، ولا فن الفقيه بأقل من فن المحدث ، قال : فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث ، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت متقدماً فيه ، فلذلك لم يكن عنده ما أمليه على هذا الصبي ، فقال له المعلم : أن هذا الحديث لا يوجد عند غيرك خبر للصبي من كلام كثير نجده عند غيرك .... انتهى .قال الهيتمي تعقيباً : " واستفيد من ذلك مزيد فضل الفقه ، وأنه ثمرة الحديث ، وإن كان طلب الحديث أشد ، و تحصيله أشق . ذكر هذه الحكاية – كذلك – **القاضي عياض في (الإلماع ص ٣١)** .

أبو داود السجستاني يشترى الجنة من الله بدرهم :

ابن حجر رحمه الله ذكر في كتابة فتح الباري قصة عن أبي داود ، أبو داود هو العالم الذي صنف كتاباً في الحديث ضمن كتاباً فيه من الأحاديث ما يزيد على خمسة الآف حديث وهو الذي يقال أخرجه أبو داود أو رواه أبو داود ، ابن حجر رحمه الله قال صحت عنه فيذكر رحمه الله فيقول كان أبو داود في سفينة من السفن فلما تحركت هذه السفينة إذا برجل على الشاطئ يعطس فحمد الله ورفع صوته بالحمد فماذا صنع أبو داود استأجر قارباً من قوارب هذه السفينة بدرهم من أجل أن يأتي إلى هذا الرجل الذي عطس ليشمته

فانتقل بهذا القارب وشمته ثم رجع فقيل له لماذا صنعت كل هذا فقال رحمه الله لعله مجاب الدعوة إذا قلت (يرحمك الله) قال (يهديكم الله ويصلح بالكم) ربما يكون مجاب الدعوة فيقول نام مَنْ في السفينة فلما رقدوا إذا بمنادٍ ينادي يقول (إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم) .الفتح ٤٤٠/١٧.

أبو داود السجستاني يلخص السنن :

كان أبو داود السجستاني يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب – يعني " السنن " – جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات " حديث صحيح مشهور، وأخرجه الستة من حديث عمر بن الخطاب. والثاني قوله " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " حديث صحيح بشواهده " أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي: (٢٣١٧)، وابن ماجه: (٣٩٧٦).والثالث قوله " لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه " أخرجه من حديث أنس البخاري: ١ / ٥٣ – ٥٤، في الإيمان: باب علامة الإيمان، ومسلم: (٤٥) في الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، والترمذي: (٢٥١٧)، والنسائي: ٨ / ١١٥، وابن ماجه: (٦٦).والرابع قوله " الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات " أخرجه من حديث النعمان بن بشير: البخاري: ١ / ١١٧، في الايمان: باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم: (١٥٩٩)، وأبو داود: (٣٣٢٩) و: (٣٣٣٠)، والترمذي: (١٢٠٥)، والنسائي: ٧ / ٢٤١. **انظر : مقدمة سنن أبي داود ٤/١ . وفيات الأعيان ٤٠٥/٣ .**

قبل لسانه :

وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقيل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، قال: فرحب به وأجلسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة، وما هي قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبله، قال: فأخرج له لسانه فقبله. **وفيات الأعيان ٤٠٥/٣ .**

٣ـ مجالس التواضع والوقار

أبو حنيفة يعلم أبا يوسف التواضع في العلم :

مرض أبو يوسف مرضًا شديدًا، فعاده أستاذه أبو حنيفة مرارًا. فلما صار إليه آخر مرة، رآه ثقيلاً، استرجع، ثم قال: لقد كنتُ أُؤَمّله بعدي للمسلمين، ولئن أُصيبَ الناسُ به ليموتَنّ علمٌ كثير. ثم رُزق أبو يوسف العافية، وخرج من العِلَّة. فلما أُخبِر بقول أبي حنيفة فيه، ارتفعت نفسُه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصَّر عن لُزوم مجلس أبي حنيفة. وسأل أبو حنيفة عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا بعد أن بلغه كلام أستاذه فيه. فدعا أبو حنيفة رجلاً وقال له: صِرْ إلى مجلس أبي يوسف، فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قَصَّار ثوبًا ليصبغه بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء، وأنكره. ثم إن صاحب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مصبوغًا، أَلَه أجرُه؟ فإن قال أبو يوسف: له أجره، فقل له: أخطأت. وإن قال: لا أجرَ له فقل له: أخطأت! فصار الرجل إلى أبي يوسف وسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة. قال الرجل: أخطأت. ففكر ساعة، ثم قال: لا أجرة له. فقال له: أخطأت! فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة. فقال له :ما جاء بك إلا مسألةُ القصَّار. قال: أجل. فقال أبو حنيفة: سبحان اللّه! من قعد يُفتي الناس، وعقد مجلسًا يتكلم في دين اللّه، لا يُحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات؟! فقال: يا أبا حنيفة، علِّمني. فقال: إنْ صبغه القصار بعدما غَصَبه فلا أجرة له، لأنه صبغ لنفسه، وإن كان صبغه قبل أن يغصبه، فله الأجرة، لأنه صبغه لصاحبه ثم قال: مَن ظن أن يستغني عن التعلُّم فَلْيَبكِ على نفسه. **تاريخ بغداد ٣٥٠/١٣ ، وفيات الأعيان ٤٠٨/٥ .**

حماد بن سلمه يحاسب نفسه :

كان حماد بن سلمة من العلماء العباد العاملين بدينهم وعلمهم محاسبًا لنفسه لا يضيع لحظة من غير طاعة حتى أنه لو قيل له إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا يحكي لنا تلميذه مقاتل بن صالح هذا الموقف لشيخه فيقول 'دخلت على حماد فإذا ليس في بيته إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه 'كتبه' ومطهرة يتوضأ فيها فبينما أنا عنده جالس دق داق الباب فقال 'يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟

فقالت: رسول محمد بن سليمان أمير الكوفة فقال: 'قولي له: يدخل وحده فدخل فناولـــه كتابًا فإذا فيه 'بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعتـــه وقعـــت مـــسألة فإننـــا نـــسألك عنهـــا والسلام'.فقال حماد 'يا صبية هلمي الدواة ثم قال لي 'اقلب الكتاب والكتب' أما بعد 'وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون لأحد فـــإن كانت وقعت مسألة فأتنا وسلنا على ما بدا لك فإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تـــأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام'.فقال مقاتل بن صالح فبينما أنا عنده دق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هنا؟ فقال: محمد بن سليمان الأميـــر قـــال حماد: 'قولي له ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال له حماد بن سلمة ســـل صاحبك'.فقال محمد بن سليمان 'مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبًا؟ .

فقال حماد بن سلمة 'إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء' فقال محمد بن سليمان 'خذ أربعين ألف درهم تستعين بهـــا على ما أنت عليه' فقال حماد بن سلمة أردوها على من ظلمته بها'.فقـــال محمـــد بـــن سليمان 'والله ما أعطيك إلا ما ورثته عن أبي'.فقال حماد بن سلمة 'لا حاجة لـــي فيهـــا أزوها عني زوى الله عنك أوزارك قال محمد: فتقسمها أنت'.فقال حماد :منعي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها لم يعـــدل أزوهـــا عنـــي زوى الله عنـــك أوزارك..**ابن الجوزي : صفة الصفوة ٣/٣٦٢ ، المنتظم ٣/٩٥ .**

آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه :

كان أبا حنيفة جالس يلقي درسه أمام طلابه وكان مريضا فمد رجليه أمام طلابه وبينما هو كذلك دخل رجل عليه هيئة العلماء فقال أبو حنيفة في نفسه:لعله من كبـــار العلمـــاء جاء ليسألني.. فرفع رجليه وتحامل على نفسه ، وكان الدرس الذي يلقيه أبو حنيفة عن المواقيت،فسأله الرجل : ماذا و طلعت الشمس قبل الفجر!((وهذا السؤال يدل على حماقة صاحبه))فقال أبو حنيفة :آن الآن لأبي حنيفة أن يمد رجليه!! .

أبو حنيفة يتعلم من حجام :

وحُكي عن وكيع؛ قال:قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت:أخطأتُ في خمسة أبواب مـــن

المناسك بمكة،فعلَّمنيها حجام،وذلك أني أردت أن أحلق رأسي،فقال لي:أعربيٌّ أنت؟قلت:نعم،وكنت قد قلت له:بكم تحلق رأسي؟فقال: النسك لا يُشارَطُ فيه،اجلس،فجلست منحرفاً عن القبلة،فأومأ لي باستقبال القبلة،وأردتُ أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر،فقال:أدر شِقَّك الأيمن من رأسك؛فأدرته،وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت،فقال لي:كَبِّر،فجعلت أكبر حتى قمتُ لأذهب،فقال:أين تريد؟فقلت:رحلي،فقال:صلِّ ركعتين ثم امض.فقلت ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلاَّ ومعه علم.فقلت:من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟فقال:رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.**ابن خلكان : وفيات الأعيان(٣٦١/٣).**

نحترمك ما احترمت الأئمة :

وقَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ:كَانَ العَبْدَرِيُّ أَحْفَظَ شَيْخٍ لَقِيْتُهُ، وكَانَ فَقِيْهاً دَاووديا، ذكر أَنَّهُ دَخَلَ دِمَشْقَ فِي حَيَاةِ أَبِي القَاسِمِ بنِ أَبِي العَلاَءِ، وَسَمِعتُهُ وَقَدْ ذُكِرَ مَالِك، فَقَالَ:جِلْفٌ جَاف، ضَرَبَ هِشَامَ بنَ عَمَّارٍ بِالدُّرَّة، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ(الأَمْوَال)لأَبِي عُبَيْدٍ، فَقَالَ – وَقَدْ مرَّ قَوْلٌ لأَبِي عُبَيْدٍ – :مَا كَانَ إِلاَّ حِمَاراً مُغَفَّلاً، لاَ يَعرِفُ الفِقْه.وَقِيْلَ لِي عَنْهُ:إِنَّهُ قَالَ فِي إِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيّ:أَعْوَرُ سوء، فَاجتَمَعْنَا يَوْماً عِنْد ابْن السَّمَرْقَنْدي فِي قِرَاءة كِتَاب(الكَامِل)، فَجَاءَ فِيْهِ:وَقَالَ السَّعْدِيُّ كَذَا، فَقَالَ:يَكْذِبُ ابْنُ عَدِيٍّ، إِنَّمَا ذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيْم الجَوْزَجَانِيّ، فَقُلْتُ لَهُ:فَهُوَ السَّعْدِيّ، فَإِلَى كَمْ نحتمِلُ مِنْكَ سوءَ الأَدَب، تَقُوْلُ فِي إِبْرَاهِيْمَ كَذَا وكَذَا، وَتَقُوْلُ فِي مَالِكٍ جَاف، وَتَقُوْلُ فِي أَبِي عُبَيْدٍ؟!فَغَضِبَ وَأَخَذته الرِّعدَة، وَقَالَ:كَانَ ابْنُ الخَاضِبَة وَالبَرَدَانِي وَغَيْرهُمَا يَخَافُونِي، فَآلَ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَقُوْلُ فِيَّ هَذَا؟! فَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَرْقَنْدي:هَذَا بِذَاكَ.فَقُلْتُ:إِنَّمَا نَحْتَرِمُكَ مَا احترمتَ الأَئِمَّة.**سير أعلام النبلاء (٥٨٢/١٩).**

٤ـ مجالس الحق والصدق.

أحمد بن نصر الخزاعي وكلمة الحق :

وهذه قصة عالم من علماء المسلمين الربانين الذين أيقنوا أن الآجال بيد الله تعالى وحده ، وهي قصة " أحمد بن نصر الخزاعي) والتي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية فقال في أحداث سنة إحدى وثلاثين ومائتين : وكان فيها مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه

الله وأكرم مثواه .

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل كان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . وكان الواثق من اشد الناس في القول بخلق القرآن ، يدعو إليه ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون ، من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قرآن . فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأحضر للمناظرة وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله ، وقال له : (ما تقول في القرآن ؟) فقال : (هو كلام الله) قال : (أمخلوق هو ؟) قال : (هو كلام الله) . وكان أحمد قد استقتل وباع نفسه وحضر وقد تحنط وتنور وشد على عورته ما يسترها . فقال له : (ما تقول في ربك ، أتراه يوم القيامة ؟) فقال : (يا أمير المؤمنين قد جاء في القرآن والأخبار بذلك ، قال تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته)) ، فنحن على الخبر)) . زاد الخطيب : قال الواثق : (ويحك ! أيرى كما يرى المحدود المتجسم ؟! ويحويه مكان ، ويحصره الناظر ؟! أنا أكفر برب هذه صفته) . قلت : وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن نصر للواثق : (وحدثني سفيان بحديث يرفعه : أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))). فقال له إسحاق بن إبراهيم : (ويحك ! انظر ما تقول) فقال : (أنت أمرتني بذلك) ، فأشفق إسحاق من ذلك ، وقال : (أنا أمرتك ؟!) قال : (نعم أنت أمرتني أن أنصح له) . فقال الواثق لمن حوله : (ما تقولون في هذا الرجل ؟) فأكثروا القول فيه ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق – وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل ، وكان موادا لأحمد بن نصر قبل ذلك – : (يا أمير المؤمنين هو حلال الدم) وقال أبو عبد الله الأرمني – صاحب ابن أبي دؤاد : (اسقني

من دمه يا أمير المؤمنين) فقال الواثق : (لا بد أن يأتي ما تريد) وقال ابن أبي دؤاد : (هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل) . فقال الواثق : (إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي ، فإني احتسب خطاي) ثم نهض بالصمصامة – وقد كانت سيفا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صحيفة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير – فلما انتهى إليه ضربه بها ضربة على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم طعنه بالصمصامة في بطنه ، فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله وعفا عنه . وذكر الإمام أحمد بن حنبل يوما فقال : (رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله ، لقد جاد بنفسه له) وقال جعفر بن محمد الصائغ : (بصر ت عيني وإلا فقئتا وسمعت أذناي وإلا فصمتا ، أحمد بن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه : " لا إله إلا الله " وقد سمعه بعض الناس وهو مصلوب على الجذع ورأسه يقرأ : { الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهو لا يفتنون }) قال : (فاقشعر جلدي). (**ابن كثير في البداية والنهاية (٣١٦/١٠–٣٢٠).**

وقال الإمام الشافعي

أنا إن عشت لست أُعدم قوتا ** وإذا مت لست أعدم قبرا

همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا**

وإذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا أخاف زيدا وعمروا**

الحسن البصري في مواجهة الحجاج :

لمّا وُلّي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق بنى لنفسه بناء في واسط ، فلمّا فرغ منه نادى في النّاس أن يخرجوا للفرجة عليه و الدّعاء له بالبركة ، فلم يشأ الحسن البصري أن يفوّت على نفسه فرصة إجتماع النّاس هذه ، فخرج إليهم ليعظهم و يزهدهم بعرض الدّنيا و يرغّبهم بما عند الله تعالى ، و لمّا بلغ المكان و نظر إلى جموع النّاس و هي تطوف بالقصر مأخوذة بروعة بنائه ، مدهوشة بسعة أرجائه ، وقف فيهم خطيبا ، و كان في جملة ما قاله : لقد نظرنا فيما إبتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أنّ فرعون شيّد أعظم ممّا شيّد وبنى أعلى ممّا بنى ، ثمّ أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى و شيّد .

ليت الحجاج يعلم أنّ أهل السماء قد مقتوه ، و أنّ أهل الأرض قد غرّوه – و بينما هو يتكلّم أشفق عليه أحد السّامعين ، فقال له : حسبك يا أبا سعيد حسبك . فقال له الحسن : لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننّه للنّاس و لا يكتمونه .وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميّز من الغيظ ، وقال لجلاّسه : تبّا لكم و سحقا ، يقوم عبد من عبيد أهل البصرة و يقول فينا ما شاء أن يقول ، ثمّ لا يجد فيكم من يردّه أو ينكر عليه ، والله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء.

ثمّ أمر بالسيف والنطع فأُحضرا ، ودعا بالجلاّد فمُثّل واقفا بين يديه ، ثمّ وجّه إلى الحسن بعض الشرطة وأمرهم أن يأتوا به . فأحضر الحسن ، فلمّا رأى السيف و النطع والجلاّد حرّك شفتيه ، ثمّ أقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزّة المسلم ووقار الدّاعية إلى الله .

فلمّا رآه الحجاج على حاله هذا هابه أشدّ الهيبة ، وقال له : هاهنا يا أبا سعيد .. هاهنا حتّى أجلسه على فراشه ، و النّاس ينظرون إليه في دهشة و إستغراب ، ولمّا أخذ الحسن مجلسه إلتفت إليه الحجاج يسأله عن بعض أمور الدّين ، و الحسن يجيبه بقلب ثابت وبيان ساحر وعلم واسع .

فقال له الحجاج : أنت سيّد العلماء يا أبا سعيد . ثمّ دعا بغالية و طيّب له بها لحيته و ودّعه . و لمّا خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج ، وقال له : يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج بغير ما فعل بك ، وإنّي رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف و النّطع فحرّكت شفتيك ، فماذا قلت ؟ . فقال الحسن : لقد قلت : يا وليّ نعمتي و ملاذي عند كربتي ، اجعل نقمته بردا وسلاما عليّ كما جعلت النّار بردا وسلاما على إبراهيم . **أصناف العلماء وأوصافهم : أبو حفص سفيان الجزائري ٧٤.**

ابن عباس رضي الله عنه مناظرا :

فعن عبد الله بن عباس قال : "لما اعتزلت الحرورية –وهم الخوارج– قلت لعليٍّ: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. فأتيتهم ولبست أحسن ما يكون من الحُلَل. فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟! قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختنه ، وأول من آمن به، وأصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: أولُّهن أنه حكَّم الرجال في دين الله، وقد قال الله تعالى: (إن الحكم إلا لله) (الأنعام:٥٧). قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنَم، لئن كانوا كفاراً لقد حلَّتْ له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حَرُمت عليه دماؤهم.

قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا اسمه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المُحْكَم، وحدثتكم من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون؛ أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم إنه حكَّم الرجال في دين الله، فإنَّ الله تعالى يقول: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم) (المائدة: ٩٥)، وقال في المرأة وزوجها: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا) (النساء: ٣٥). أنشدكم الله: أفحكمُ الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحقُّ أم في أرنب فيها ربع درهم؟! قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

وأما قولكم: إنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، أتَسْبون أمَّكم، أم تستحلُّون منها ما تستحلُّون من غيرها؟! فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام. إن الله تعالى يقول: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب: ٦). وأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله. ورسول الله كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم". فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة. **عبالرحمن باشا : صور من حياة التابعين ١٧\٣، صور من ابتلاء العلماء لوحيد عبد السلام بالي ١٥.**

ائتمنتك على فارة فخنتني :

حدثنا جعفر الخلدي قال سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول اعتللت بطرسوس علة الذرب فدخل على هؤلاء القراء يعودوني فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي فقلت اللهم علمنا أدب العيادة حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لي إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت يا أستاذي أني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك وقيل لي أنك تعرف اسم الله الأعظم وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي فأحب أن تعلمني إياه قال فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إلي أنه يخبرني قال، فتركني بعد ذلك ستة أشهر ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدي هذا إليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى أي شيء هي فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فارة قفزت من الطبق ومرت قال فاغتظت غيظاً شديداً وقلت ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فارة فرجعت على ذلك الغيظ فلما أن رآني عرف ما في وجهي فقال يا أحمق إنما جربناك ائتمنتك على فارة فخنتني أفأئتمنك على اسم الله الأعظم مر عني فلا أراك.

اسكت فما معنا أحد :

روى أن الوليد بن يزيد يلعب بالشطرنج، فاستأذن عليه رجل من ثقيف فسترها، ثم سأله عن حاله وقال له: أقرأت القرآن؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين قد شغلني عنه أمور وهنات؛ قال: أفتعرف الفقه؟ قال: لا والله؛ قال: أتروي من الشعر شيئاً؟ قال: ولاش؛ فكشف عن الشطرنج وقال: شاهك؛ فقال له عبد الله بن معاوية: مه يا أمير المؤمنين؛ قال: اسكت فما معنا أحد.

أبو يوسف ينصح الخليفة الرشيد:

عندما طلب هارون الرشيد من أبي يوسف القاضي وضع كتاب الخراج لم يفت القاضي أن يقدم النصيحة للخليفة في مقدمة الكتاب فقال: يا أمير المؤمنين: إن الله وله الحمد،

قد قلّدك أمرا عظيما، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب، قلدك أمر هذه الأمة، فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاهم الله وائتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه. فلا تضيّعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة الرعية، فان القوة في العمل بإذن الله، لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، فانك إذا فعلت ذلك أضعت، إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل فانه لا عمل بعد الأجل، إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه فأتم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهاره، فانّ أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت رعيّته، ولا تزغ فتزيغ رعيّتك، وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب وإذا نظرت إلى أمرين، أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فاختر أمر الآخرة على الدنيا، فان الآخرة تبقى والدنيا تفنى ولكن من خشية على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم، واحذر فان الحذر في بالقلب وليس باللسان، اتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتقي الله يتقه.إني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك الله، وألا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فانك إن لا تفعل تتوعّر عليك سهولة الهدى وتعمى في عينيك وتتخفى رسومه، ويضيق عليك رحبه، وتنكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تنكر، فخاصم نفسك خصومة من الفلج لها لا عليها، فان الراعي المضيّع يضمن ما هلك على يديه ما لو شاء رده عن مواطن الهلكة بإذن الله.وأورده أماكن الحياة والنجاة فان ترك ذلك أضاعه وان تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه آخذ. وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه الله أضعاف ما وفى له.فاحذر أ، تضيع رعيّتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيّعك بما أضعت أجرك، وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم، وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولا الله أمره، فلست تنسى ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم، فليس يغفل عنك ولا يضيع حقك من هذه الدنيا. وأوصيك في هذه الليالي والأيام بكثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا وتمجيدا والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وإمام الهدى.**مقدمة كتاب الخراج لأبي يوسف ٥.**

لا أدخلها والظاهر فيها:

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعيّة يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه.فقال: هل بقي أحد؟.فقيل له: نعم بقي الشيخ محيى الدين النووي.فطلبه فحضر.فقال له: اكتب خطابك مع الفقهاء، فامتنع.فقال: ما سبب امتناعك؟.فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير(بندقار) وليس لك مال، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا وسمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مئتا جارية لكل جارية حق من الحليّ، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلا من الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحليّ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه.وقال: أخرج من بلدي _ يعني دمشق.فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى نوى.فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدي به، فأعده إلى دمشق.فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ.وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر.**أحمد فريد : الإمام النووي ١٤ .**

رد مفحم :

ذكر أن قسيسا أراد إن ينال من المسلمين بالطعن في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فقال: إن الناس رموها بالإفك ولا ندري أهي بريئة أم متهمه? فأجابه بعض الحاضرين بقوله: أسمع يا هذا ، هناك امرأتان اتهمتا بالزنا وقد برأهما القران الكريم ,إحداهما ليس لها زوج وقد جاءت بولد ، وأخري لها زوج ولم يأتها بولد " يقصد مريم و عائشة, " فآيتهما أحري بالتهمة ؟ فسكت القسيس.

أبو حنيفة والرد على من يكرهون عثمان رضي الله عنه :

روي أن رجلا كان موسرًا، وكان يكره أمير المؤمنين عثمان "رضي الله عنه" إلى حد أنه كان يسميه (اليهودي). وصل هذا الكلام إلى أبي حنيفة، فدعاه وقال: سأزوج ابنتك على فلان اليهودي، فقال: أنت إمام المسلمين، أتجيز أن تزوج ابنة مسلم ليهودي! وأنا لن أزوجها له قط. فقال أبو حنيفة: سبحان الله، لأنك لا تجيز زواج ابنتك ليهودي فكيف يجوز أن يزوج محمد رسول الله ابنتيه ليهودي؟ فعلم الرجل ذلك فحوى الكلام، ورجع عن اعتقاده، وتاب ببركات الإمام أبي حنيفة.

عقل الأستاذ غير موجود :

وقف أحد المعلمين الملحدين يدرس للطلاب فقال لهم : هل ترون اللوح ؟قالوا : نعم قال:إذا اللوح موجود.قال:أترون الطاولة؟قالوا:نعم.قال: إذا الطاولة موجودة.قال: أترون الله ؟قالوا:لا. قال:إذا الله غير موجود.فقام احد الطلاب الأذكياء قال:أترون عقل الأستاذ؟قالوا: لا .قال:إذا عقل الأستاذ غير موجود.

٥ـ مجالس الأدب والتقدير .

موسى مع الخضر وأدب التعلم :

عَنْ سَعِيد بن جُبَيْر : قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاس : إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ ، لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ ؟ فَقَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْب ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلَى ، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ، وَمَنْ لِي بِهِ ، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ : أَيْ رَبِّ ، وَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَ : تَأْخُذُ حُوتًا ، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَل ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ ، وَرُبَّمَا قَالَ : فَهُوَ ثَمَّهْ ، وَأَخَذَ حُوتًا ، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا ، فَرَقَدَ مُوسَى ، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ ، فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ ، فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا ، وَلَهُمَا عَجَبًا ، قَالَ لَهُ مُوسَى : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي ، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ، رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمَ مُوسَى ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ ؟! قَالَ : أَنَا مُوسَى ، قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا ، قَالَ : يَا

مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ ، عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لاَ تَعْلَمُهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ ، عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ ، قَالَ : هَلْ أَتَّبِعُكَ ؟ قَالَ :إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ، (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) ، إِلَى قَوْلِهِ :إِمْرًا) ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ ، كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ ، فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً ، أَوْ نَقْرَتَيْنِ ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ : يَا مُوسَى ، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا ، قَالَ : فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلاَّ وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : مَا صَنَعْتَ ؟! قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ : لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ، فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلاَمٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا – وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا – فَقَالَ لَهُ مُوسَى : أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، فَانْطَلَقَا ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ، مَائِلاً ، أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا (وَأَشَارَ سُفْيَانُ ، كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ ، فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلاً إِلاَّ مَرَّةً) قَالَ : قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا ، وَلَمْ يُضَيِّفُونَا، عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ، قَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ ، فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا.

قال سُفْيان : قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى ، لَوْ كَانَ صَبَرَ ، يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ :أَمَامَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ : ثُمَّ قَالَ لِي سُفْيَانُ : سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ ، وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ.

قِيلَ لِسُفْيَانَ : حَفِظْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ عَمْرٍو ، أَوْ تَحَفَّظْتَهُ مِنْ إِنْسَانٍ ؟ فَقَالَ : مِمَّنْ

أَتَحَفَّظُهُ ، وَرَوَاهُ أَحَدٌ عَنْ عَمْرٍو غَيْرِي ؟! سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ.أخرجه أحمد" ١١٨/٥(٢١٤٣٤) "البُخَارِي" ٤١/١(١٢٢) و"مسلم" ١٠٣/٧(٦٢٣٩) و"أبو داود" ٤٧٠٧ والتِّرْمِذِيّ" ٣١٤٩.

قال الإمام النووي: وفي هذه القصة أنواع من القواعد، والأصول، والفروع، والآداب، والنفائس المهمة سبق التنبيه على معظمها سوى ما هو ظاهر منها ومما لم يسبق : أنه لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة ، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة ، ودليله من هذه القصة حمل فتاه غداءهما وحمل موسى والخضر بغير أجرة لمعرفتهم الخضر بالصلاح والله اعلم .

ومنها الحث على التواضع في علمه وغيره وأنه لا يدعي أنه أعلم الناس وانه اذا سئل عن اعلم الناس يقول الله اعلم .

ومنها بيان أصل عظيم من أصول الإسلام وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ولا يفهمه أكثر الناس وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر موضع الدلالة قتل الغلام فإن صورتهما صورة المنكر وكان صحيحا في نفس الأمر له حكم بينة لكنها لا تظهر للخلق فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها ولهذا قال وما فعلته عن أمري يعني بل بأمر الله تعالى . اهـ . شرح النووي (١٤٦/١٥).

الشافعي وأدب المناظرة :

قال يونس الصدفي : ما رأيت أعقل من الشافعي – ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ؛ ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة. يعني: على الرغم من خلافي معك في مسألة من مسائل العلم، فإن الواجب أن تظل أخوتنا، ومودتنا، ولا يعادي بعضنا بعضاً بسبب اختلافنا في مسألة من مسائل العلم.

سير أعلام النبلاء ٩/١٩ ، تاريخ بغداد ٦٧/٢ ، الموافقات للشاطبي ٣٣١ .

نور الله لا يهدى لعاص :

جلس الإمام الشافعي وهو غلام صغير في مجلس الإمام مالك بالمدينة المنورة، وكان الإمام مالك يقرأ في درسه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده، وكانت

عادته إذا ذكر الحديث أن يقول: عن فلان، عن فلان، عن صاحب هذا المقام، ثم يشير إلى قبر الرسول. فرأى وهو يشير إلى القبر الشافعي يعبث بثمرة من الحصير؛ بعد أن بلها بريقه فوق يده! فحزن الإمام مالك، ثم انتظر حتى أنهى درسه الذي قرأ فيه أربعين حديثًا، ثم ناداه، فأقبل وجلس بين يديه، فعاتبه قائلاً: لماذا كنت تعبث أثناء تلاوة حديث رسول الله خ؟ فقال: يا سيدي! ما كنتُ أعبث ولكني كنتُ أسجل بريقي ما تقول حتى لا أنسى؛ لأنني فقير، ولا أملك الدرهم الذي أشتري به القرطاس والقلم. فتعجب الإمام مالك، وقال له: إذا كنتَ صادقًا فاقرأ ولو حديثًا واحدًا من الأربعين التي قرأتُها في درس الليلة. فجلس الشافعي كما كان يجلس أستاذه الإمام، وقال: عن فلان، عن فلان، عن صاحب هذا المقام؛ وأشار إليه كما أشار الإمام، ثم قرأ الأربعين حديثًا. فأعجب الإمام مالك بذكائه، وقال له: إني أرى الله قد ألقى في قلبك نورًا، فلا تُطفئه بظُلمة المعاصي.

وفي يوم رأى الإمام الشافعي أن ذكاءه لم يعد في الدرجة التي كان عليها من قبل، فذهب إلى أستاذه الإمام وكيع، وشكا له سوء حفظه، وقد أشار إلى هذا بقوله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفظي * فأرشدني إلى تركِ المعاصي**

وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ * ونورُ اللهِ لا يُهدَى لعاصي**

أنت لا تحسن شيئا :

قال الخطيب في : (**الكفاية في علم الرواية ص ٣٤**) : قال أبو العباس أحمد على الآبار : " رأيت بالأهواز رجلاً حف شاربه ، وأظنه قد اشترى كتبا ، وتعبأ للفتيا ، فذكر أصحاب الحديث ، فقال : ليسوا بشيء و ليس يسوون شيئاً ، فقلت له : أنت لا تحسن تصلى ، قال : أنا ؟ قلت : نعم ، قلت : إيش تحفظ عن رسول الله إذا افتتحت الصلاة ، و رفعت يديك ؟ فسكت ، فقلت : إيش تحفظ عن رسول الله إذا وضعت يديك على ركبتيك ؟ فسكت ، فقلت : إيش تحفظ عن رسول الله إذا سجدت ؟ فسكت ، فقلت : مالك لا تتكلم ؟ ألم أقل إنك لا تحسن تصلى ، أنت إنما قيل لك : تصلى الغداة ركعتين ، والظهر أربعاً فالزم ذا خير لك من أن تذكر أصحاب الحديث ، فلست بشيء ، ولا تحسن شيئاً " .

٦ـ مجالس العزة والكرامة .

العالم أعز الناس:

كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد،وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة ..ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له :من أعز الناس ؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين قال : بلى ،إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي ،فقال الرشيد : لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما.**ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥١٠/٣ .**

العلم يؤتى إليه :

جاء هارون الرشيد خليفة ونزل في بيت الإمارة فيطلب مالك، ليأتي بموطئه ليقرأه عليه وعلى الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد ، فينظر إليه مالك ويقول: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى إليه ولا يأتي..؛ فجاء هارون وقف على باب مالك واستأذن، فأخبرت الجارية مالك بأن هارون أمير المؤمنين على باب البيت، ذهب واغتسل وارتدى خير ثيابه وتطيب، كل هذا وهارون على الباب، أذن له، فلما دخل قال : ما هذا يا مالك؟ طلبناك فامتنعت علينا، جئناك حبستنا على بابك؛ قال: أفدتك أن العلم يؤتى إليه ولا يأتي، أما أني حبستك على الباب فصحيح، لأني حينما أخبرت أنك تأتي ولم أكن أعلم في أي وقت، علمت أنك لا تأتي لمالك، لا لمال ولا لجاه ولا لشيء إلا للعلم، فأردت أن أكون على أحسن هيئة وأنا أدارسك العلم. **انظر : شرح متن الرحبية للشيخ عطية محمد سالم ١٣ .**

البخاري وعزة النفس :

لما رجع الإمام البخاري رحمه الله إلى بخاري نصبت له القباب على فرسخ منها واستقبله عامة أهلها ونثر عليه الدراهم والدنانير وبقي مدة يحدثهم وأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح

ويحدثهم به في قصره فامتنع وقال لرسوله قل له إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن احتاج إلى شيء منه فليحضر في مسجدي أو داري فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة فإني لا أكتم العلم وروي أنه قال العلم يؤتي ولا يأتي فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده ولا يحضر غيرهم فامتنع من ذلك أيضا وقال لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم وروي انه قال العلم لا يحل منعه فحصلت بينهما وحشة فاستعان الأمير بعلماء بخاري عليه حتى تكلموا في مذهبه فأمره بالخروج من البلد فدعا عليهم بقوله اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم فكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادي على الأمير فأركب حمارا فنودي عليه فيها وحبس إلى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده إلا وابتلى ببلية شديدة .**انظر : فتح الباري لابن حجر ٣٩٣/١، يوسف المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٤ / ٤٦٥ ، تاريخ بغداد ٣٣/٣ .**

ويسمعون مع العامة :

قال الخطابي حدثني عبد الله بن محمد المسكي حدثني أبو بكر بن جابر خادم أبي داود رحمه الله قال كنت مع أبي داود ببغداد فصلينا المغرب فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق يعني ولي العهد فدخل ثم أقبل عليه أبو داود فقال ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ قال خلال ثلاث . قال وما هي ؟ قال تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا ليرحل إليك طلبة العلم فتعمر بك فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج . فقال هذه واحدة . قال وتروي لأولادي " السنن " . قال نعم هات الثالثة . قال وتفرد لهم مجلسا فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة . قال أما هذه فلا سبيل إليها لأن الناس في العلم سواء . قال ابن جابر فكانوا يحضرون ويقعدون في كم حيري عليه ستر ويسمعون مع العامة .**السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢٩٦/٣ ، أبو يعلى الفراء : طبقات الحنابلة ١٦١/١ .**

مالك وعزة النفس :

عن ابن وهب قال : "سمعت مالكاً يحدث أن عاملاً من العمال بعث إلى سعيد بن المسيب بخمسة آلاف درهم ، فقال له الرسول : بعث بهذا إليك أصلحك الله لتنفقها وتجعلها في

حاجتك ، قال وسعيد جاد مجد يحاسب غلامه في نصف درهم يدعيه قبله والغلام يقول : ليس لك عندي شيء ، قال سعيد للرسول : اذهب إلى عملك : ثم عرضها عليه الرسول أيضاً فقال : اغرب عني وأبى أن يأخذها منه . وكلمه إنسان في تركهِ أن يأخذها ، فقال له ابن المسيب : هذا النصف درهم أحب إلي منها " .

لا حاجة لي فيها :

وروى أبو نعيم في "**الحلية**" **(١٦٦/٢)** عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : "دعي سعيد بن المسيب إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها ، فقال : لا حاجة لي فيها ولا لبني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم" .

والمدينة خير :

لما حج هارون ، وقدم المدينة بعث إلى مالك بكيس فيه خمس مئة دينار ، فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث إلى مالك أن أمير المؤمنين يحب أن تنتقل معه إلى مدية السلام ، فقال للرسول : قل له إن الكيس بخاتمه ، وقال رسول الله ﷺ : "والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " . "**جامع بيان العلم وفضله**".

صحيح الجامع حديث رقم (٢٩٧٢) ، عن سفيان بن أبي زهير.

زوى الله عنك أوزارك :

وقال مقاتل بن صالح الخراساني : دخلت على حماد بن سلمة رضي الله عنه فإذا ليس في البيت إلى حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها !!فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب . فقال : يا صبيه أخرجي فانظري من هذا ؟ قالت : هذا رسول محمد بن سليمان قال قولي له : يدخل وحده فدخل وسلم وناوله كتاباً فقال : اقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسألة فإنا نسألك فيها فقال : يا صبية هلمي بالدواة اكتب في ظهر الكتاب أما بعد فأنت صبحك بما صبح به أولياءه وأهل طاعته أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإذا وقعت مسألة فائتنا فتسألنا عما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصح ولا أنصح نفسي والسلام . فبينا أنا عنده جالس إذ دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا فقالت :

محمد بن سليمان . قال : قولي : له يدخل وحده قال : فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال : ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً ؟ فقال حماد : سمعت ثابتاً يعني البناني يقول : سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء " . فقال : ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله ؟ فقال : لا ، ويرحمك الله فإني سمعت ثابتاً البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن الله عز وجل إذا أراد أن يعذب عبداً بماله وفقه عند موته لوصية جائرة " قال : فحاجة ؟ قال : هات ما لم تكن رزية في الدين ! قال : أربعين ألف درهم تستعين بها على ما أنت عليه . قال : اردها على من ظلمته بها . قال : والله ما أعطيتك إلا ما ورثته . قال : لا حاجة لي فيها ! قال : ازوها عني زوى الله عنك أوزارك . قال : فغير هذا ؟ قال : هات ما لم يكن رزية في دين الله . قال : تأخذها فتقسمها . قال : فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها : إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم ازوها عني زوى الله عنك أوزارك . " **بستان العارفين " للنووي (ص٩٢).**

في قبولها وهق رقبتي في النار :

قدم محمد بن قحطبة الكوفي فقال : أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى ، عالم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس ، فقيل له : ما يجمع هذه إلا داود الطائي ، فسير إليه بدره : عشر آلاف درهم وقال : استعن بها على دهرك فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما : إن قبل البدرتين فأنتما حران فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما فقالا : إن في قبولهما عتق رقابنا من الرق ، فقال لهما إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار رداهما إليه وقولا له : إن ردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا .**وفيات الأعيان " ٣ (٢٦٠).**

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، ولك الحَمْدُ إذَا رَضِيْتَ، ولك الحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
الفصل الأول :فضل العلم والعلماء	٥
١- العلم سبيل إلى توحيد الله وطريق إلى العبادة الصحيحة	٦
٢- العلم سبيل إلى دخول الجنة	٧
٣- العلم ميراث الأنبياء	٧
٤- العلم سبيل العزة والسعادة في الدنيا والآخرة	٩
٥- خير ميراث يتركه المرء	١١
٦- العلم نور البصيرة	١٢
٧- العلم يورث الخشية من الله تعالى	١٢
٨- العلم أفضل الجهاد	١٣
٩- العلم مقدم على العبادة	١٤
١٠- العلم يحي القلوب الميتة	١٦
الفصل الثاني : آداب المعلمين والمتعلمين	١٨
١- إخلاص النية	١٩
٢- الأدب والتواضع	٢٢
٣- الرفق واللين	٢٤
٤- البعد عن الغرور	٢٥

٥- العمل بالعلم	٢٦
٦- ترك الجدال والمراء	٢٨
٧- التحذير من القول على الله بغير علم	٢٨
٨- عدم إهانة العلماء أو هضم حقهم	٣١
الفصل الثالث :صفات مجالس العلم	٣٢
١- مجالس الإخلاص والتقوى	٣٣
٢- مجالس الذكر و الخشية	٣٥
٣- مجالس التواضع والوقار	٣٨
٤- مجالس الحق والصدق	٤٠
٥- مجالس الأدب والتقدير	٤٨
٦- مجالس العزة والكرامة	٥٢
فهرست الموضوعات	٥٧

* * *